



خطبة صلاة الجمعة 4/10/2014 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (الجمعة وعرفة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتبا، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 82].

وقال: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: 39].

روى الإمام مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيرُ يوم طلعت عليه الشمسُ يومُ الجمعة، فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه أُدْخِلَ الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة».

وروى ابن حبان في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من يومٍ أفضلُ عند الله من يوم عرفة، ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي؛ شُعثًا غبرًا ضاحين؛ جاؤوا من كل فجٍ عميقٍ، يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم يُر يومٌ أكثرَ عتقًا من النار من يوم عرفة».

وروى مسلم وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صيامُ يوم عرفة؛ أحسب على الله أن يكفِّر السنَّة التي قبله، والسنَّة التي بعده».

### أيها الإخوة:

اجتمع في هذا اليوم الذي أخطب لكم فيه من الخير ما الله به عليم، فهو يوم الجمعة وقد سمعتم حديثاً في فضل يوم الجمعة «خيرُ يوم طلعت عليه الشمسُ يومُ الجمعة» [مسلم].

وهو يوم عرفة وقد سمعتم حديثاً في فضل يوم عرفة: «ما من يومٍ أفضلُ عند الله من يوم عرفة» [ابن حبان].

ولعل سائلاً يسأل: أيهما أفضل الجمعة أو عرفة؟ والجواب: يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَفْضَلُ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ، وَيَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ أَفْضَلُ أَيَّامِ الْعَامِ.

نقل الإمام الغزالي في الإحياء عن بعض السلف قال: إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم في الدنيا.

عقد أحد العلماء فصلاً تحدث فيه عن: مَزِيَّةَ وَقْفَةِ عَرَفَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَا قَالَ فِيهِ: (لَوْ قَفَّةُ الْجُمُعَةِ يَوْمَ عَرَفَةَ مَزِيَّةٌ عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ مِنْ وَجْهِ مُتَعَدِّدٍ: أَحَدُهَا: اجْتِمَاعُ الْيَوْمَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا أَفْضَلُ الْأَيَّامِ.

**الثَّانِي:** أَنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي فِيهِ سَاعَةٌ مُحَقَّقَةٌ الْإِجَابَةِ، وَأَكْثَرُ الْأَقْوَالِ أَنَّهَا آخِرُ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَأَهْلُ الْمَوْقِفِ كُلُّهُمْ إِذْ ذَاكَ وَافِقُونَ لِلدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ.

**الثَّالِثُ:** مُوَافَقَتُهُ لِيَوْمِ وَقْفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لأن النبي صلى الله عليه وسلم حج مرة واحدة وكان وقوفه على عرفات يوم الجمعة.

**الرَّابِعُ:** أَنَّ فِيهِ اجْتِمَاعَ الْخَلَائِقِ مِنْ أَفْطَارِ الْأَرْضِ لِلْخُطْبَةِ وَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَيُؤَافِقُ ذَلِكَ اجْتِمَاعَ أَهْلِ عَرَفَةَ يَوْمَ عَرَفَةَ بِعَرَفَةِ.

فَيَحْصُلُ مِنَ اجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَفِي عَرَفَةَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ مَا لَا يَحْصُلُ فِي يَوْمٍ سِوَاهُ. **الخامس:** أَنَّهُ مُوَافِقٌ لِيَوْمِ إِكْمَالِ اللَّهِ تَعَالَى دِينَهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِثْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] تَرَلَّتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ.

**السادس:** أَنَّهُ يَدْنُو الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَنُو رَحْمَةٍ وَإِجَابَةٍ يَوْمَ عَرَفَةَ مِنْ أَهْلِ الْمَوْقِفِ، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُ: «مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ...» [مسلم] «فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» [الترمذي].

فَبِهَذِهِ الْوُجُوهِ وَغَيْرِهَا فَضِّلْتُ وَقْفَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَلَى غَيْرِهَا. وَأَمَّا مَا اسْتَفَاضَ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ بِأَنَّهَا تَعْدِلُ سَبْعِينَ حَجَّةً، فَلَا أَصِلُ لَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ [زاد المعاد لابن قيم الجوزية].

## أبيها الإخوة:

كل هذه الفضائل وغيرها اجتمعت اليوم فحري بالمندب فينا أن يتوب، وبالبعيد أن يؤوب، وبالقلب القاسي أن يذوب.

جدير بمن أخطأ منا مع الله أن يعتذر، ومن تمادى في المعصية أن ينزجر، ومن جاهر بالذنب أن يستتر.  
اللهم يا رفيع الدرجات، ويا منزل البركات، ويا فاطر الأرضين والسموات، ضجّت إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتنا إليك أن تغفر لنا وأن ترفع عنا ما نزل بنا وأن لا تنسانا في دار البلاء إذا نسينا أهل الدنيا.

اللهم أخرجت المعاصي ألسنتنا فما لنا وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الأمل.  
إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تبق لي عندك جاهاً، ولا للاعتذار وجهاً، ولكنك أكرم الأكرمين.  
إلهي إن لم نكن أهلاً أن نبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغنا، ورحمتك وسعت كل شيء، ونحن شيء.

إلهي يا عوادةً بالمغفرة جاءك العوادون إلى الذنوب.  
إلهي إن كنت لا ترحم إلا أهل طاعتك فإلى من يفرع المذنبون؟!  
دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا وعودتنا.

## أبيها الإخوة:

روى الإمام مسلم في صحيحه، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطِبَ النَّاسُ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ... وَرَبَّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ... فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئَنَّ فَرْشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ، فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرَحٍ، وَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ إِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

ففي خطبته الشريفة أربع فقراتٍ مهمّة جداً، وخاتمةٌ مؤثرة..

**أما الفقرة الأولى:** «إِنَّ دَمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بِلَدِكُمْ هَذَا»: فتوبة عرفة والرجوع إلى الله يومَ عرفة يقتضي منا أن نترك الحرام في الدماء والأموال والأعراض.

**وأما الفقرة الثانية:** «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ»: فتوبة عرفة والرجوع إلى الله يومَ عرفة يقتضي منا التبرُّؤ من الجاهلية: من أفكارها ومبادئها وعاداتها ومظاهرها.

ثارات الجاهلية، ربّ الجاهلية (ومنه: الفوائد البنكية)، تبرج الجاهلية، إطلاق البصر إلى المحرمات، فعل الجاهلية، والجاهلية برمّتها -فكراً، وسلوكاً، واعتقاداً...- مرميةٌ تحت قدمي المسلم.

**وأما الفقرة الثالثة:** «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ...»: فتوبة عرفة والرجوع إلى الله يومَ عرفة يقتضي منا الإحسان إلى المرأة أُمّاً وأختاً وبنّاتاً وزوجةً.

**وأما الفقرة الرابعة الأخيرة:** «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ...»: فالقرآن الكريم والسُّنة الشَّريفة، سفينةُ نجاتنا في الدُّنيا والآخرة، ونحن قومٌ أعزّنا الله بهما، ومهما أردنا العِزَّةَ بغيرهما فَارَقْتُنَا العِزَّةَ وحالفنا الهوان.

ترك الحرام، ورمي للجاهلية، ووصية بالنساء خيراً، وتمسك بالكتاب والسنة؛ أربعة هي خلاصة خطبة الوداع يوم عرفة، والله أعلم.

### فيا أيها الإخوة:

تعالوا نتمسك بهذه الأربعة ونجدد إيماننا وتوبتنا إلى الله اليوم يومُ الجمعة ويومُ عرفة ونغنم ما بقي منه في الدعاء والالتجاء والإقبال على الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرُ مَنْ أَنْ يَعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو فَيَبْهِي بِهِ الْمَلَائِكَةَ» [رواه مسلم].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنْ هَذَا يَوْمٌ مِنْ مَلِكٍ فِيهِ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَلِسَانُهُ غُفِرَ لَهُ» [رواه أحمد].

**والحمد لله رب العالمين.**